أثر القرآن الكريم في الألفاظ ودلالاتها في البلاغة العربية
(نماذج مختارة)

د . مصطفى رجب الخمري
جامعة المرقب ـ كلية التربية ـ الخمس

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:
ما من إنتاج فكري إلا احتاج إلى الكلمة ، مسموعةً ، أو مكتوبةً ، حتى إن بعض النقاد يعدُّون التفكير كلاماً صامتاً ، والكلمة تميّز وعي البشر ، وسمَّوهم على مخلوقات الله ؛ لأنها نتاج فكر. والبلاغة العربية ويزاملها الأدب هما الحقل الفكري ـ إن صح هذا التعبير ـ اللذان تغرسُ فيهما الكلمات طمعاً في ثمرة التأثير الوجداني ، وهما يتخذان من اللفظة الوسيلة الجمالية ؛ لأن غايتهما لا تقتصر على الإفهام والتعبير المباشر ، بل يتعديان هذا إلى مستوى فاعلية في المتلقي ، أو الناقد ، أو السامع ، ومن هنا تلتقي البلاغة مع الأدب والنقد ، وعلم الأسلوب ، إذ يوجد تعامل خاص مع الألفاظ يختلف عن المجالات الأخرى .
وفي دراستنا للقرآن الكريم في هذا البحث . ومن خلال بلاغة إعجاز القرآن . ننطلق من كونه نصاً أدبياً يتسم بالبلاغة في ألفاظه تحمل دلالة ، أو دلالات أخرى في حالة الاتساع ، ومن المسلم به أن اللفظة الأدبية القرآنية كائن جديد متميز من اللفظة المعجمية ، التي توضحها كتب المعاجم ، فهي في الأدب تلبس لَبوساً فريداً ، مع الالتزام الديني ، مما يجعلها تتجاوز كونها أصوات لفظة ، وهي ترسم ، وتشخِّص ، وتُجسِّم حالة شعورية ، وهذا ما جمعته واختص به سر الجمال في الاستعارة المكنية ، وهذا هو الفرق بين الكتابة العلمية ، والكتابة الأدبية ؛ فالأولى لا تهتم بالانتقاء ؛ لأنها لا تُعْنَى بالإعتبارات الوجدانية ، فتبعد عن جمال النحو بعلائقه المؤثرة ، كما تقلع عن جمال الصرف الذي يعطي الصيغة الفاعلية الجمالية ، وتتجاهل الفروق الدقيقة بين الألفاظ ، كل ذلك لأنها كتابة مباشرة لا تخاطب الشعور ، واللفظة في مضمونها ما هي إلا وسيلة لمخاطبة العقل مباشرة ، أما الكتابة الأدبية والبلاغية فهي بناء لغوي جميل ، والأدب يرى أن اللفظة كائن حي ، ودلالة حيوية ، تقوم بوظيفة نقل المشاعر في صيغ مغايرة للاستعمال المعهود ، ولا تنتهي

غايته عند صياغة الفكرة فقط ، بل عند بث الروح في داخل الألفاظ ، فتصبح بدائل عنه ، ومن يطوف في رحاب التفاسير اللغوية البلاغية ، يجد وقفات طويلة في ألفاظ السور المدنية التي كان طابعها التشريع ؛ لأن التشريع قد عُنِي بنفسية المؤمن ، ومن خلال رسم السلوك البشري السوي ، وإلقاء الأوامر الإلهية برزت للدارسين جماليات في مناسبة المقام بألفاظ بلاغية تحرك الوجدان ، فأسلوب القرآن الكريم هو أعلى الأساليب ، وأسمى كلام تحققت فيه غاية البلاغة ، وذروة البيان ، وهو أجل ما يمكن أن يبحث فيه عن أسرار الجمال اللغوي ، فعجائبه لا تنقضي ، ومنابعه لا تنضب ، وليس من حسن نظم ، وبراعة سبك إلا وللقرآن الكريم منها الحظ الأوفى ، والمقام الأعلى .

ولما لهذا الموضوع من أهمية بالغة في إثبات إعجاز القرآن الكريم فإني سأتناوله بالتدقيق والتمحيص في بعض الآيات القرآنية كنموذج ؛ لأن الألفاظ في القرآن الكريم بما تحويه من معاني عز نظيرها في أساليب البلغاء والشعراء قديما وحديثاً ؛ رأيت أن أكتب فيه في مقدمة ومبحثين ، وخاتمة تشتمل على النتائج . وعلى إثر ذلك اتبعت المنهج الوصفي .

المقدمة : وقد تناولت فيها ، أهمية الموضوع ، وأسباب اختياره ، وهذا ما ذكرته سابقاً .

المبحث الأول : وتناولت فيه عدة مطالب : كل مطلب يتناول آيات قرآنية متسمة بعناوين بلاغية.

المبحث الثاني : التعريف والتنكير ولطائفهما البلاغية ـ وقصر الألفاظ القرآنية وسر جمالها البلاغي.

المبحث الأول : " لكل مقام مقال " : [1]

عندما نتمعن بالنظر في النظم القرآني ، ونتأمل ألفاظه وتراكيبه ، يبدو لنا اختلافاً في استخدام الألفاظ ، وفي التراكيب ؛ فهذه جملة مؤكدة ، وتلك خالية من التوكيد ، هذا اللفظ مفرد في سياق ، وجمع في سياق آخر ، وذاك نكرة في موضع ، ومعرفة في موضع آخر ، هذه الكلمة قدمت في آية ، وأخرت في آية أخرى ، وردت مفردة في موضع ، وجمعاً في موضع آخر ، أوثر التعبير في هذا الموطن بلفظ ، وبمرادف له في موطن آخر ، وردت واو العطف في تلك الآية ، ولم ترد في الأخرى . هذا الإختلاف ـ بلا شك ـ وراءه أغراض قد اقتضته ، وأسرار بلاغية دعت إليه ، إنه يرجع إلى : " أن لكل مقام مقالاً " ولننظر في هذه الآيات الكريمة التي نعنيها في المطلب الأول ؛ ليتجلى لنا ما وراء اختلاف التعبير فيها من أسرار جمالية ، وأغراض بلاغية.

المطلب الأول :

المسألة الأولى : بين النصيب والكفل : ففي قوله تعالى :﴿ ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم ﴾[2] الشفاعة مأخوذة من الشفع ، وهو أن يصيِّر الإنسان نفسه شفيعاً لصاحب الحاجة حتى يجتمع معه على المسألة فيها، والشفاعة : الوساطة في إيصال خير ، أو دفع شر ، سواء كانت بطلب من المنتفع أم لا ، في الحديث " اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا " [3] ووصفها بالحسنة وصف كاشف ومبين؛ لأن الشفاعة لا تطلق إلا على الوساطة في الخير ، وأما إطلاق الشفاعة على السعي في جلب شر فهو مشاكلة ، والمشاكلة غرض من الأغراض البلاغية التي تعني : " ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته "[4] فعبر القرآن بالشفعة في الثانية : للمشاكلة وقرينة المشاكلة في الشفاعة الثانية وصفها بسيئة ، إذ لا يقال : (شفع) للذي سعى بجلب سوء ، إلا إذا كان من قبيل خروج الكلمة عن معناها الأصلي ، وهو : (التهكم) .

([1]) مجمع الأمثال ـ أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد النيسابوري الميداني ـ قدم له نعيم حسن عصفور ـ منشورات مُحَمَّد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة : بلا ـ التاريخ : بلا 2/ 239 .

([2]) سورة النساء : الآية : 85 .

([3]) صحيح مسلم 2026/4 ، فتح الباري شرح صحيح البخاري 452/13 .

([4]) انظر : جواهر البلاغة ـ أحمد الهاشمي ، ص 375 .

والكفل معناه : النصيب أيضاً ولكن بينهما فرق دقيق ، ومن أجل هذا الفرق ، وجب أن يعبر بالنصيب في الشفاعة الحسنة ، وبالكفل في الشفاعة السيئة ، ويتجلى ذلك في الآتي :

1 . أن الكفل وإن كان بمعنى النصيب إلا أنه غلب في الشر ، وندر في الخير ، ومن النادر قوله تعالى : ﴿ بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح ﴾ [1] إذ لم يرد الكفل في الخير والرحمة في النظم القرآني إلا في هذه الآية الكريمة ، ولذلك يطلق عليها معلمو القرآن الكريم عليها : (غريبة) بمعنى أنها الوحيدة في القرآن الكريم .

2 . قال بعض المحققين : الكفل هو المثل المساوي ، والنصيب يشمل الزيادة عن المثل ، فالتعبير بالنصيب في جانب الحسنة للإشعار بأن جزاء الحسنة يضاعف ، والتعبير بالكفل في جانب السيئة ؛ للدلالة على أن من جاء بالسيئة فلا يجزى إلا مثلها [2] يؤيد هذا قول الله تعالى ﴿ قى في كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن ني ﴾ [3] ففي الآية إشارة إلى لطف الله بعباده وقيل : الكفل يطلق على النصيب الذي يكون اعتماد الناس عليه ، ولذا يقال : كفل البعير ، أي : حمى ظهره بذلك الكساء الذي يوضع عليه ، ومنه قيل للضامن كفيل ، قال ـ ﷺ ـ : " أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّةِ "[4] فثبت أن الكفل هو النصيب الذي عليه يعتمد الإنسان في تحصيل المصالح لنفسه ، ودفع المفاسد عن نفسه ، إذا ثبت هذا فنقول : قوله : ﴿ فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم ﴾ [5] .من كل هذا إذا تأملنا وجها من وجوه الإعجاز في القرآن الكريم ، وهو إعجازه في أسلوبه وبلاغته ، فإننا نجد في كل آية من آياته وفي كل لفظة من ألفاظه ما يوضح هذا الإعجاز ، بالجمال اللغوي في رصف حروفه لتكوين الكلمة ، وترتيب كلماته لتكوين الجملة ، بهذا قصد القرآن الكريم في اللفظ مع وفائه بالمعنى ،في كل آية من آياته ، تجد بيانا قاصدا ومقدراً على حاجة النفوس البشرية من الهداية الإلهية دون أن

([1]) سورة الحديد : الاية : 28 .

([2]) انظر : الفتوحات الإلهية .407/1 .

([3]) الأنعام : الآية : 160 .

([4]) كنز العمال 168/3 .

([5]) سورة آل عمران : الآية : 37 ،

وانظر : التفسير الكبير ، أو مفاتيح الغيب 165/10 .

يزيد اللفظ على المعنى ، أو يقصر عن الوفاء بحاجات الخلق من هداية الخالق ، وهذا من خصائص الأسلوب القرآني ؛ أن الكلمة الواحدة قد تعطي أكثر من معنى دون أن يكون هناك تضاد ، أو تنافرا بين تلك المعاني ، وبحيث يتسق المعنى العام تمام الاتساق مع كل معنى . (1)

المسألة الثانية : قوله تعالى :ُّٱ بي تر **تز تم** تن تى تي **ثر ثز ثم** ٱ **ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي** َّ (2) إن نظرة الباحث في آيات القرآن الكريم توحي له بأن الإيجاز مناط السور المكية ، وأن الإطناب ، أو دقة التفصيل مناط السور المدنية ، ذلك لأن المرحلة المدنية من نزول القرآن مرحلةُ تشريع ، فتطلَّب الأمر بسط الأمور الفقهية للمؤمنين ، كما هو الحال في سورة البقرة ، والنساء ، والنور ، خلافاً لمضامين السور المكية ، فهي تدور حول فكرة التوحيد ، وأمور الغيب ، والترغيب في وصف الجنة ، والترهيب في وصف أهوال النار ، ومن هذا القبيل ما لفت الجاحظ إليه أنظارنا ، إذ وجد أن الإيجاز والإطناب من حق ملاءمة المقام ، فهو يقول : " ورأينا الله ـ تبارك وتعالى ـ إذا خاطب العرب والأعراب أخرج الكلام مُخرِج الإشارة ، والوحي ، والحذف ، وإذا خاطب بني إسرائيل ، أو حكى عنهم جعله مبسوطاً وزاد في الكلام " (3) ومن الطبيعي أن تكون كل ألفاظ القرآن تحت عنوان مناسبة المقام ، ذلك لأن نظمه المعجز يتضمن كلمات لا تكون نافرةً مُتَقَلْقِلَةً في مكانها ، ولا تكون حشواً يُسْتغنى عنه ، والموضوع القرآني كذلك خصص له حجم معيَّن ، فلا زيادة فيه ولا نقصان ، ولا يكون الإيجاز قائماً مكان الإطناب ، ولا الإطناب مكان الإيجاز ؛ لأن الفكرة هي التي تحدد أسلوبها ، وهذه الآية التي نحن بصددالحديث عنها تعيّن مناسبة المقام في اختيار مفردة من المفردات ، أو تخصيص دلالتها اللغوية؛ لتحقق إيحاءً نفسياً ، أو توسع ظلال الدلالة اللغوية ، والمفردة قد تكون عاديةً ، فإذا قرأت في القرآن ، وجدنا لها طعماً آخر ، وتأثيراً فريداً لا نعرفه في حدودها الطبيعية المتعارف عليها . فبهذا نتجاوز ما ورد عند عبد القاهر الجرجاني حول تمكن المفردة في سياق الآية ؛ لأنه لا

(1) انظر : معترك الأقران في إعجاز القرآن 25/1 للسيوطي . تحقيق علي محمَّد البيجاوي . دار الفكر العربي . القاهرة . 1969 م .

(2) سورة الإسراء : الآية : 90 ،91 .

(3) الحيوان 94/1 .

يوليها الاهتمامَ ، فهو ينظر إلى النص كلِّهِ بعد دخول المفردة ، وينظر إلى العلاقة النحوية بشكل كلي .

فجاء في الآية كلمة (تُفَجِّرَ) ، و (تفْجِيراً) والتفجير مصدر فَجَّرَ بالتشديد مبالغة في الفجر ، وهو الشق باتساع ، ومنه سمي فجر الصباح فَجْراً ؛ لأن الضوء يشق الظلمة شقاً طويلاً عريضاً فالتفجير أشدُّ من مطلق الفجر ، وهو تشقيق شديد باعتبار اتساعه ، ولذلك ناسب الينبوع هنا والنهر ، في قوله تعالى :ﭐﱡ كخ كل كم لج ﱠ [1] .

والينبوع اسم للعين الكثيرة النبع التي لا ينضب ماؤها ، وصيغة يَفْعُول صيغة مبالغة غير قياسية ، من نبع الماء ، كيعبوب من عب الماء ، إذا زخر ، وللنون مع الباء فاءً وعيناً للكلمة سر عجيب مطرد ، وهو أنها تدل على الظهور والبروز ، ففي جميع تراكيبها لا تنفك عن أداء هذا المعنى ، والينبوع مشتقة من مادة النبع أو الجدول كثير الماء . [2] وبهذا يختلف الينبوع عن الأنهار الجارية ، فقد أريد بتفجير الأنهار كثرة المياه ؛ فجاءت الأنهار جمعاً ، وعبَّر في جانبها بلفظ " تفجِّرَ " بضم التاء وتشديد الجيم ، من (فجَّر) الرباعي ، ثم جيئ بالمصدر " تفجيراً " أما الينبوع فلم يرد بفجرها الكثرة ـ كثرة المياه ـ ولذا جاءت الينبوع مفردة ، وعبَّر في جانبها بلفظ " تفجر " . ، على قراءة من فتح التاء وضم الجيم بالتخفيف من فجر الثلاثي ، ولم يؤت بمصدره . ولا يستقيم وضع إحدى اللفظتين في مكان الأخرى ؛ لقلة مياه الينبوع إذا ما قورنت بمياه الأنهار ، فالذي يلائم الأنهار التفجير ، والملائم للينبوع الفجر.

إذن فلا جدال في أن القرآن الكريم قد أثار في أساليبه الرسالية أكثر من أسلوب ، في كلمات متشابهة ومختلفة في نفس الوقت ، من أجل الوصول إلى عقل الإنسان وشعوره ، فيما يفكر به من قضايا العقيدة والحياة ؛ ليقتنع بالحق الذي يصل الإنسان بالله ، في أجواء رائعة تتحول فيها العقيدة إلى قضية تمتزج بالإحساس والشعور .

المسألة الثالثة : ـ عطف تذبيح الأبناء على سوم العذاب في سورة إبراهيم ، وترك العطف في سورة البقرة :

([1]) سورة الكهف : الآية : 33 .

([2]) انظر : مختار القاموس : ص 591 . مادة (ن ب ع) .

القرآن الكريم من أي ناحية أتيته ، لا ترى فيه إلا أنواراً ساطعة ، وأدلة قاطعة على أنه كلام الله تعالى ، ولا يمكن ، مهما دققت في اللغة العربية وفي بلاغتها ، أن تجد فيه نكتة من كذب ولا وصمة من زور ، ولا لطخة من جهل ؛ لأنه تنزيل من حكيم حميد ، وإذا كان العرب ـ وهم فصحاء بالسليقة ـ قد فطنوا إلى ذلك ، وتذوقوا سمو أسلوب القرآن الكريم ، فإن عرب اليوم غير العرب بالأمس ، فقد بعدوا عن الأساليب العربية الفصيحة ، وأصبح أمراً لا يدركه إلا المتخصصون ، وهو لا يساوي ما كان عند العربي الأصيل ، وذلك لأسباب اجتماعية ، وتاريخية ، وثقافية ، ففي القرآن الكريم أشياء بسيطة ، كحرف مثلا يغير المفهوم ، تعال معي نحلل ونتأمل مسألة وجود حرف العطف في آية ، وتركه في آية أخرى ، وما ينتج عنه من دقة في التعبير، وتغيير المعنى في سورة البقرة ، وسورة الأعراف ، وسورة إبراهيم ، نجد في سورة البقرة قول الله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى ﴾ [1] وفي سورة إبراهيم قوله تعالى : ﴿ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ ﴾ [2] لقد جاء التعبير بدون واو العطف في سورة البقرة ، فلم يعطف بها تذبيح الأبناء ، واستحياء النساء على سومهم سوء العذاب ، بل وقع بياناً وتفسيراً ، ومثل ذلك جاء قوله تعالى في سورة الأعراف :

﴿ تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم ﴾ [3]

فتقتيل الأبناء واستحياء النساء بيان لسوء العذاب ، أما في سورة إبراهيم ﴿ هج هم هى هي ﴾ معطوفاً بالواو على قوله : ﴿ نم نى ني ﴾ المراد بالعذاب ههنا غير المراد به في سورة البقرة والأعراف ؛ لأنه مفسر بالتذبيح والتقتيل ، فالعطف بالواو جعل التذبيح شيئاً آخر سوى سوء العذاب ؛ لأن المقام في سورة إبراهيم مقام تذكير بأيام الله تعالى ، ومثل هذا المقام ، يقتضي تعداد النعم وتفصيلها ، فعل النجاة من التكاليف الشاقة ﴿ نم نى ني ﴾ نعمة تستوجب الشكر ، والنجاة

([1]) سورة البقرة : الآية : 49 .

([2]) سورة إبراهيم : الآية : 6 .

([3]) سورة الأعراف : الآية : 141 .

من التذبيح نعمة أخرى ، والنجاة من استحياء النساء . أي : استبقاء البنات حتى يصرن نساء مشتهيات ، فيفترشْن وينتهك عرضهن . نعمة ثالثة .

أما المقام في سورة البقرة ، وسورة الأعراف ، فمقام تذكير بجنس النعمة ، ومثل هذا المقام لا يحتاج إلى تعدد النعم ، ولذا تركت الواو ، ووقع التذبيح والاستحياء بيانا لسوم العذاب .

يقول الفخر الرازي : " إن الفائدة التي يجوز أن تكون هي المقصودة من ذكر حرف العطف في سورة إبراهيم أن يقال : إنه تعالى قال قبل تلك الآية ﴿ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم ﴾[1] والتذكير بأيام الله لا يحصل إلا بتعدد نعم الله تعالى ، فوجب أن يكون المراد من قوله : ﴿ نم نى ني ﴾ نوعا من العذاب ، والمراد من قوله : ﴿ هج هم ﴾ نوعا آخر ؛ ليكون التخلص منهما نوعين من النعمة ، فلهذا وجب ذكر العطف هناك ، أي في سورة إبراهيم .

وأما في سورة البقرة ، فلم يرد الأمر إلا بتذكير جنس النعمة ، وهي قوله تعالى : ﴿ ثر ثز ثم ثن ثى ﴾[2] فسواء كان المراد من سوء العذاب هو الذبح أو غيره ، كان تذكير جنس النعمة حاصلا فظهر الفرق .[3]

المسألة الرابعة : تنكير سبل السلام الملقى على يحيى ـ عليه السلام ـ وتعريف السلام الملقى على عيسى . عليه السلام . في سورة مريم .

إن القرآن الكريم ، في كل سورة منه وآية ، وفي كل مقطع منه وفقرة ، وفي كل مشهد منه وقصة ، وفي كل مطلع منه وختام ، يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغماً ، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذه المسألة من المطلب أن نفاضل فيه بين سورة واخرى ، أو نوازن بين مقطع ومقطع ، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص ؛ نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل ، وندعمها بالشاهد ، مؤكدين أن القرآن الكريم نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه

([1]) سورة إبراهيم : الآية : 5 .

([2]) سورة إلبقرة : الآية : 47

([3]) التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب 64/3 .

إن هذه الموسيقى بنوعيها الداخلية والخارجية لتنبعث في القرآن حتى في اللفظة المفردة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل بجرسها ، ونغمها بتصوير لوحة كاملة فيها اللون زاهياً ، أو شاحباً ، وفيها الظل شفافاً أو كثيفاً ، وهذا ما يطلق عليه في البلاغة العربية والنقد ، بالصورة الكلية .

قال بعض العلماء : كثر في القرآن ختم الفواصل بحروف المد واللين ، وحكمة وجودها التمكن والتطريب ، بذلك قال سيبويه :" إنهم (أي العرب) إذا ترنموا يلحقون الألف بالياء ؛ لأنهم أرادوا هذا الصوت ، ويتركون ذلك إذا لم يترنموا ، وجاء في القرآن على أسهل موقف ، وأعذب مقطع ، فتأليف كلماته من حروف ، لو سقط منه حرف ، أو تغير من مكانه ، لكان ذلك خللا بيناً ، أو ضعفاً ظاهراً في حس السمع وذوق اللسان " . [1]

فإذا قرأ الإنسان سورة مريم ، ليتساءل : هل انبعث إيقاعها الرخي المناسب من مطلعها ، أم من ختامها ، أم خلال آياتها ؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسري فيها كلها : في فواصلها ، ومقاطعها ، وفي ألفاظها وحروفها ، وفي انسياقها وانسيابها ، حتى لو انتقى على حده ، مقطعا واحداً ، من مقاطعها ، أو موضوع واحد من موضوعاتها الجزئية ، والتمس في أجزائه النغم والإيقاع : لكان في كل جزء منه نغمة ، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء .

وعلى هذا الأساس من انفراد القرآن الكريم بمحافظته على التناسق الإيقاعي ، يحلو لنا أن نقتطف من سورة مريم القيمة الفنية في البلاغة العربية من التعبير بكلمة السلام معرفة ومنكرة في قوله تعالى : ٱ ى يى ذٰ رٰ ىٰ ّ ٌّ ٍّ [2] وقوله تعالى :

ُّ ٱ ى يى ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح َّ[3] .بتأمل النظم الكريم في سياق القصتين يتجلى لنا ما يلي :

1 . السلام الملقى على يحيى ــ عليه السلام ــ من قبل الله تعالى ، والقليل منه تعالى كثير ومغن عن كل تحية ، ولذا جاءت نكرة ، وبتتبع آيات الذكر الحكيم نجد أن السلام لم يرد من قبل الله

([1]) انظر : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ مصطفى صادق الرافعي ـ ص :117 .

([2]) سورة مريم : الآية : 15 .

([3]) سورة مريم : الآية : 33 .

تعالى إلا نكرة لهذا الغرض قال تعالى :ﱡ يم يي ييى ذٰ رٰ ﱠ[1] وقال :ﱡ تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثيفى في قى قي كا كل كم كى ﱠ[2]

يقول جار الله الزمخشري معلقاً على الاية الكريمة :ﱡ بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ﱠ [3]يقول معلقاً على تنكير لفظة (رضوان) : " وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله ؛ لأن رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ؛ ولأنهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته ، والكرامة أكبر أصناف الثواب ؛ ولأن العبد إذا علم أن مولاه راض عنه ، فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم ، وإنما تتهيأ له برضاه ، كما أنه إذا علم بسخطه تنغصت عليه ، ولم يجد لها لذة وإن عظمت " [4]

وأما السلام الملقى على عيسى ــ عليه السلام ــ فهو من قبل نفسه ومن قوله هو :ﱡ ثن ثى ثي فى في قى قي كا كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح ﱠ [5] أي : وقال السلام علي ، ولذا جاءت معرفة [6]

2 . أن قصة يحي قد تقدمت قصة عيسى في السورة الكريمة ، فيصح أن يكون التعريف في (السلام) للعهد ، ويكون المعنى : ذلك السلام الموجه إلى يحي يوم مولده ، ويوم مماته ، ويوم يبعث حياً موجه إليَّ في المواطن الثلاثة .

3 . في سياق قصة عيسى اتهام لمريم ﱡ يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز ﱠ [7] فيصح أن تكون اللام في (والسلام) للجنس ، والمعنى حينئذ على التعريض باللعنة والعذاب لمن اتهم مريم ، وبيانه أن اللام للجنس ، فإذا قال : وجنس السلام علي خاصة ، فقد عرض بأن ضده وهو اللعنة والعذاب عليهم . وهكذا يتجلى لنا أن المقام وسياق النظم

---

(1) سورة يس : الآية : 58 .
(2) سورة هود : الآية : 48 .
(3) سورة التوبة : الآيتان : 72 ، 73.
(4) الكشاف للزمخشري 290/2 .
(5) سورة مريم : الآيتان : 30 ـ 33 .
(6) انظر : الكشاف ، 16/3 .
(7) سورة مريم : الآيتان : 27 ، 28 .

الكريم قد اقتضى تنكير السلام الملقى على يحيى ، وتعريف السلام الملقى على عيسى ، عليهما وعلى نبينا مُحَمَّد أفضل الصلاة وأتم التسليم . [1]

المطلب الثاني : الإفراد والتثنية والجمع :

المسألة الأولى : إفراد السمع وجمع القلوب والأبصار :

عندما نتدبر آيات النظم القرآني ونتمعن بالنظر في ألفاظه ، يتجلى لنا أن هناك ألفاظاً لازمت الإفراد ، فلم يرد استعمال المثنى منها ، ولا الجمع ، وذلك مثل ألفاظ : النور ، والنار ، والأرض ، والسمع ، والصديق .

ونجد ألفاظاً أخرى لازمت الجمع كلفظ : الألباب ، والظلمات ، وألفاظاً استعملت مفردة وجمعاً ، مثل : : الريح والرياح ، والسماء والسموات ، والسبيل والسبل ، والولي والأولياء ، والبصر والأبصار ، الفؤاد والأفئدة ، والشفيع والشفعاء ،

وألفاظاً وردت مفردة ، ومثناة ، وجمعاً ، مثل : الجنة ، والمشرق ، والمغرب .

وألفاظاً جاءت مفردة ومثناة مثل : كرة وكرتين .

ولا شك أن وراء هذا الاستخدام للألفاظ ، أسرار ولطائف بلاغية تدل على قوة الإعجاز في القرآن الكريم ، تظهر لمن يتمعن بالنظر ، أو ألقى السمع وهو شهيد ، فتعالوا ننظر ونتأمل لنقف على ما يوحي به الإفراد والتثنية والجمع من معان جليلة في ضوء الآيات الكريمة يقول الله تعالى : ﴿ نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ﴾ [2] فألفاظ السمع والبصر والفؤاد والقلب ، عندما ترد مضافة إلى جمع كما في الآية المذكورة يكون السمع مفرداً والقلوب والأبصار جمعاً ، وقد عللوا ذلك بأن السمع في أصله مصدر ، والمصادر لا تجمع ، فأخذ بالأصل ، وبأن مدركات السمع نوع واحد ، وهو الأصوات ، أما مدركات القلوب والأبصار ، فألوان شتى ، وأنواع مختلفة فأشير بالجمع والإفراد إلى متعلق كل منهما ، ولم يرد لفظ (السمع) في القرآن الكريم إلا مفرداً ، إشارة إلى أن متعلقه شيء واحد وهو الأصوات [3] ..

هذا شأن هذه الألفاظ عندما تكون مضافة إلى جمع ، ومثل الآية المذكورة قوله تعالى :

([1]) انظر : الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني ـ د . أحمد مُحَمَّد أمين إسماعيل ص : 221 .

([2]) سورة البقرة : الآية : 7 .

([3]) انظر : التحرير والتنوير 255/1 .

ﭐﱡ نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج ﱠ وقوله تعالى :**ﭐﱡ جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم ﱠ** وقوله تعالى : **ﭐﱡ ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه ﱠ .** [1]

أما إذا كانت مضافة إلى مفرد ، أو دل السياق على أن المخاطب ، أو المتحدث عنه فرد واحد فإن البصر والفؤاد يردان مفردين ، كما في قوله تعالى : **ﭐﱡ كى كي لم لى لي ما ﱠ** وقوله تعالى :**ﭐﱡ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج ﱠ** وقوله: **ﭐﱡ ىٰ ير يز يم ين ﱠ**[2] وقوله تعالى :**ﭐﱡ فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج ﱠ** لأن المراد بصر ، وفؤاد فرد واحد ، فلا يتأتى الجمع عندئذ.

وكذلك إذا أريد الدلالة على السرعة كما في قوله تعالى :**ﭐﱡ ئه بج بح بخ به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج ﱠ** [3] فإن الغرض من التشبيه الدلالة على سرعة الوقوع ، والذي يناسب ذلك لفظ (البصر) لا الإبصار .

المسألة الثانية : جمع الشفيع وإفراد الصديق :

ومما لازم الإفراد في آيات الذكر الحكيم لفظ (الصديق)قال تعالى : **ﭐﱡ بخ بم به تج ﱠ تخ تم ته ﱠ** [4] فقد جمع الشفيع وأفرد الصديق ؛ لكثرة الشفعاء في العادة ، وقلة الصديق " ألا ترى أن الرجل إذا امتحن بإرهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من أهل بلده لشفاعته ، رحمة له وحسبة ، وإن لم يسبق له بأكثرهم معرفة ، وأما الصديق . وهو الصادق في ودادك الذي يهمه يهمك . " فأعز من بيض الأنوق " [5] وعن بعض الحكماء أنه سئل عن الصديق فقال : اسم لا معنى له . [6]

([1]) الآيات بالترتيب :الأنعام : 46 . الأحقاف : 26 . النحل : 108 .

([2]) النجم : الآية : 17 .

([3]) النحل : الآية : 77 .

([4]) الشعراء : الآيتان : 100 ، 101 .

([5]) " أعز من بيض النوق " مثل يضرب لمن يعز وجوده ، والأنوق بفتح الهمزة وضم النون : الرخمة بفتح الراء والخاء ، جمعها : رخم ، وهو نوع من الطير موصوف بالغدر ، وقد عز بيضها ؛ لأنه لا يظفر به ، إذ أوكارها في رءوس الجبال ، وفي الأماكن الصعبة البعيدة .

انظر : مجمع الأمثال للميداني 52/2 .

([6]) انظر الكشاف 322/3 .

ولنفس المعنى أفرد الصديق في قوله تعالى:ﱡ ﱠ تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح ﱠ [1] ، ولم يرد لفظ الصديق في آيات القرآن الكريم إلا في هذين الموضعين ولعل في هذا ما يشعر بندرة الصديق الحميم ، وقلة وجوده .

المسألة الثالثة : الإفراد والجمع :

إفراد الريح وجمعها : ومما ورد مفرداً وجمعاً لفظ (الريح) فحيث أريد الرحمة جاءت (الرياح) جمعاً ، وحيث أريد العذاب جاءت (الريح) مفردة كما في الآيتين الآتيتين قوله تعالى :ﱡﭐ ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى ﱠ[2] ﭐ وقوله تعالى :

ﱡﭐ هم نر نز نم نن نى ني ﱠ[3] وذلك أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والمنافع ، فهي لواقح ، وهي بشرى ، وهي تنقل السحاب الثقال حيث يشاء الله ، وإذا هاجت منها ريح ، أثير لها من قابلها من ريح أخرى تكسر من حدتها ، وتضعف من شدتها ، وتثبط من هيجانها ، فينشأ من بينها ريح لطيفة تنفع الحيوان ، والنبات ، ولذا عبر في الرحمة بالرياح معاً. وريح العذاب تهب من مهب واحد ، لا معارض لها ، ولذا فهي تهلك ، وتدمر كل شيء بأمر ربها ، وما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم ، وهذا هو سبب إفراد الريح في العذاب .[4] وأما قوله تعالى :ﱡﭐ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى ﱠ[5] فإن الريح الأولى ريح رحمة ، وقد وصفت بأنها ريح طيبة ، ولكنها أفردت ولم تأت جمعاً للمشاكلة لوجهين :

1 . لفظي ، وهو مقابلتها بريح العذاب في الاية الكريمة ﱡ بم بن بى ﱠ ورب شيء يجوز في المقابلة ولا يجوز استقلالا .

2 . معنوي ، أن تمام الرحمة في الفلك تكون بوحدة الريح لا باختلافها ، فإن السفينة لا تسير إلا بريح تهب من جهة واحدة ، فإن اختلفت عليها المهاب كان الهلاك ، فالرحمة في هذا المقام في

([1]) سورة النور : الآية : 61 .

([2]) سورة الحجر : الآية : 22 .

([3]) سورة الذاريات : الآية : 41 .

([4]) انظر : الإعجاز العلمي في القرآن والسنة أ . نايف منير فارس ، 626/1 .

([5]) سورة يونس : الآية : 22 .

وحدة الريح ، ولذا أفردت ووصفت بالطيب دفعاً لتوهم أن تكون عاصفة ، بل هي ريح يُفرَح بطيبها ٌ ئى ئي ّ. [(1)]وكذا القول في الريح المسخرة لسليمان ــ عليه السلام ــ فقد جاءت في التعبير القرآني مفردة قال تعالى : ُّ خج خم سج سح سخ سم صح صخ ّ[(2)] وذلك لأن هبوبها من جهة واحدة ، هو الذي يحقق الغاية من التسخير حيث تجري بأمره رخاء حيث أراد ، أما اختلاف المهاب فيناقض ذلك ، ولذا أفردت الريح لتتحقق الغاية من تسخيرها لسليمان ــ عليه السلام .ــ ولهذا قال : ـ ﷺ ـ . : " اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاَ " [(3)] والمعنى : أن رياح الرحمة مختلفة الصفات والماهيات ، والمنافع ، وإذا هاجت منها ريح أثير لها من مقبلها ما يكسر قوتها ، فينشأ من بينهما ريح لطيفة ، تنفع الحيوان والنبات ، وكانت في الرحمة رياحاً .

ومن الألفاظ التي وردت مفردةً وجمعاً : الولي والأولياء ، والسبيل والسبل ، والسماء والسموات قال تعالى :ُّ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ ّ [(4)] وقال تعالى :ُّ بر بز بم بن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ّ [(5)] فولي المؤمنين واحد ، هو الله عز وجل ، وأولياء الكفار متعددون متشعبون في الضلال والإضلال ، ولذا وحد ولي المؤمنين ، وجمع أولياء الكفار .

وكذا سبيل الحق واحد ، وسبل الباطل متعددة ، فافرد سبيل الحق ، وجمعت سبل الضلال .

ولما كانت الظلمات بمثابة طرق الباطل ، والنور بمنزلة الحق ، فقد جمعت الظلمات ، وأفرد النور ، ولم يرد النور في آيات القرى، الكريم إلا مفرداً ، وكذا الظلمات لم ترد إلا جمعاً ، وذلك للإشعار بتعدد طرق الضلال وتشعبها ، والدلالة على وضوح طرق الحق وجلائه . ولهذا في جمع الظلمات ، وإفراد النور ؛ سر بلاغي عجيب ، وهو ينطوي على الإشارة إلى وحدة الحق ، وتعدد أنواع الظلمات التي هي الضلالات ، وما أكثرها . وفي قوله :ُّ نى ني هج هم هى ّ استعارتان

([1]) انظر : الاتقان في علوم القرآن للسيوطي 300/2 . و إعراب القرآن وبيانه . للدرويش 321/3 . ومواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح 504/2 .

([2]) سورة ص : الآية : 36 .

([3]) انظر :كنز العمال 4/ 142 ، البرهان في علوم القرآن 4/ . 14 .

([4]) سورة البقرة : الآية : 257 .

([5]) سورة الأنعام : الآية : 153 .

تصريحيتان أصليتان يقصد بالأولى الهدى والإيمان ، وبالثانية الضلال ، والعلاقة المشابهة ، وقد حذف المشبه واستعير بدله المشبه به ؛ ليقوم مقامه ، بادعاء أن المشبه به هو عين المشبه ، وهذا أبعد مدى في البلاغة ، وأدخل في بابها ، ولما كان المشبه به مصرحاً به في هذا المجاز سميت استعارة تصريحية ، وسميت أصلية ؛ لأنها جارية في الاسم[1] ثم في هذه الآية سر آخر من أسرار الجمال البلاغي أيضاً وهو : نفي الشيء بإيجابه ، وهو فن عجيب ، فحواه . وباختصار شديد . أن المتكلم يثبت شيئاً في كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً ، والمنفي في باطن الكلام هو الذي أثبته . أو العكس : " أن ينفي متعلق أمر عن أمر ، فيوهم إثباته له ، والمراد نفيه عنه أيضاً . [2]

والخلاصة : أن الذين كفروا لم يسبق لهم نور حتى يخرجوا منه ، فقد يوهم ظاهر الكلام ، أنه كان لهم نور في الأصل ، ثم أخرجوا منه ، والمراد نفي النور عنهم أصلا .

هذا وقد وردت (السبل) جمعاً مراداً بها سبل السلام ، والهدى والحق قال تعالى : ﴿ ئن ئى ئي تر تز تم تن تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى ﴾[3] وقال تعالى: ﴿ ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ﴾ [4] وهذا الجمع يشعر طريق الحق وجلائها أمام طرق الباطل المعوجة ، فما من سبيل من سبل الباطل والفساد والشر، إلا وترى سبيل الحق أمامها مشرقة واضحة ، فهذه السبل . سبل الحق ، والهداية ، والسلام ، الواضحة المنيرة . كلها روافد تصب في نهر واحد ، هو صراط الله المستقيم [5] قال تعالى : ﴿ كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم لە ﴾[6] : أي سبيلا من سبل الخير والفلاح التي هدى الله إليها المتقين من عباده . [7] وأفرد السبيل عندما أريد به دين الله ، وملة الإسلام ؛ لأنها واحدة وواضحة ، لا لبس فيها ولا اعوجاج ، قال تعالى : ﴿ ئى ئي بر بز بم بن ﴾[8] وقال عز وجل: ﴿ نخ نم نى ني هج هم هى هي ثز ﴾[1] وجمع عندما أريد

([1]) انظر : مواهب الفتاح في تلخيص المفتاح 296/2 .

([2]) انظر : جواهر البلاغة ص : 384 .

([3]) سورة المائدة : الآية : 15 ، 16 .

([4]) سورة العنكبوت : الآية : 69 .

([5]) انظر : البرهان في علوم القرآن 15/4 .

([6]) سورة المزمل : الآية : 19 .

([7]) انظر : تفسير القرطبي 51/19 .

([8]) سورة آل عمران : الآية : 19 .

طرق أهل الزيغ والضلال ؛ لأنها متعددة معوجة لا تؤدي إلى خير قال تعالى: ﴿ بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز﴾[2] ومما يلاحظ في آية سورة الأنبياء ، أنه عندما أخبر عن الملة بأنها واحدة كان أهلها حاضرين يخاطبون " أمتكم ..... أنا ربكم فاعبدون " فلما تفرقوا وتقطعوا وصاروا شيعاً ، التفت عنهم ، في سر بلاغي بأن عدل عنهم من أسلوب الخطاب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول وهو الغيبة ؛[3] لأنهم غابوا عن سبيل الله ، غابوا عن الخير والدين الحق ، إذ لم يعودوا أهلا للخطاب عندما تركوا الملة الواحدة ، وأزاغهم الشيطان ، فتقطعوا أمرهم بينهم . كما وردت (السبيل) مفردة مراداً بها سبيل الغي والطاغوت والفساد ، والإجرام ،قال تعالى :﴿ ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كمكى ﴾[4]طباق بين سبيل الرشد ، وسبيل الغي ، ولما كانت المقابلة بالسلب ظهر حسنها بصورة واضحة [5] قال تعالى : ﴿ بر بز بم بن بى بي تج تح تخ تم ته ثم ﴾[6] وقال تعالى : ﴿ بي تر تز تم تن تى ﴾[7] وقال تعالى : ﴿ ثر ثز ثم ثن ثى ثي بر بز بم بن ﴾[8] وهذا الإفراد وراءه سر دقيق ، ومغزى جليل ، إنه ينبئ بوضوح هذه السبل ، سبل الغي والطاغوت ،والفساد والإجرام ، ويشير إلى جلائها واستبانتها ، وإنها لا تخفى على أحد ، وعلى الرغم من ذلك فإن الكفار يقاتلون فيها ، ويتبعونها ، ويتخذونها سبيلاً ، فحق عليهم غضب الله وعقابه ، ووجب على المسلمين مناهضتهم ، والتصدي لهم ، قال تعالى :﴿ بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ﴾[9]

([1]) سورة الأنبياء : الآية :92 .

([2]) سورة الأنعام : الآية : 153 .

([3]) انظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة 105/2 .

([4]) سورة الأعراف : الآية : 146 .

([5]) انظر : إعراب القرآن وبيانه . للدرويش 146/3 .

([6]) سورة المائدة : الآية : 142 .

([7]) سورة الأنعام : الآية : 55 .

([8]) سورة النساء : الآية : 76 .

([9]) سورة النساء : الآية : 76 .

كذلك ورد في الإفراد والجمع لفظ (السماء) فإن الجمع قد ورد في المقامات الدالة على سعة العظمة ، وكمال القدرة ، كما في الآيات الكريمة ٱُّ حم خج خم سج سح سخسم َّ [1]
ُّ ٱ يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ [2] ٱُّ ثم ثن ثى ثي فى فيقى َّ [3]
وجاء الإفراد حيث أريد الجهة ، أو السماء الدنيا كما في الآيات :ٱُّ ئح ئخ ئم ئه بج َّ[4] ٱُّ مما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز َّ [5]
وترى (الأرض)قد لازمت الإفراد في النظم القرآني ، فلم تجمع كما جمعت السموات ، وعندما أريد الدلالة على العدد أتى بصيغة الجمع الدالة على سعة العظمة والكثرة فجاءت لنكت مناسبة قال عز وجل: ٱُّ مم نج نح نخ نم نه هج همهٰ َّ [6] فلم يقل : وسبع أرضين كما قيل : (سبع سموات) ولعل ذلك يرجع إلى ثقل جمع الأرض وهو : " أرضون "

ومما لازم الجمع لفظ (الألباب) فلم ترد في القرآن الكريم إلا جمعاً ؛ لثقل مفردها وهو(لب) ولذا لما أريد المفرد عبر بالقلب ، وبالفؤاد ، قال تعالى :ٱُّ هج هم هى هي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ َّ [7] ٱُّ فج فح فخ فم قح قم كجكح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج َّ [8]

ومما لازم الإفراد لفظ (النار) ؛ لأنها عذاب ، فناسب ذلك إفرادها ، على نحو ما راينا في التعبير بالريح مفردة ، أما الجنة فلكونها رحمة ، ولكونها متعددة الأنهار والثمار والنعم مختلفة الأنواع فقد جاءت مفردة ، ومثناة ، وجمعاً ، وهذا ما نلاحظه في المِسالة التالية :

المسألة الرابعة : إفراد الجنة ، وتثنيتها ، وجمعها :

---

[1] سورة الحديد : الآية : 1 .
[2] سورة النمل : الآية : 65 .
[3] سورة يونس : الآية : 101 . وانظر تفسير المراغي 279/4 .
[4] سورة الذاريات : الآية : 22 .
[5] سورة الفرقان : الآية : 61 .
[6] سورة الطلاق : الآية : 12 .
[7] سورة ق : الآية : 37 .
[8] سورة الإسراء : الآية : 36 . وانظر : مباحث في علوم القرآن . مناع القطان ص : 202 .

بعض ألفاظ القرآن يكون إفراده لمعنى خاص ، وجمعه لأشارة معينة ، ومثناة لغرض بلاغي آخر .

ففي بعض الآيات أفردت ، حيث أريد الدلالة على جنس الجنة ونوعها ، كما في الآيات :

ٱ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح ٌ [1] ٱ ثر ثز ثم ثن ثى ثي ٌ [2] وﭧ ٱ لم مج مح مخ مم نج نح نخ نم ٌ [3] وجمعت حيث أريد بها الدلالة على كثرة النعيم المعد فيها للمتقين ، كما في الآيات الكريمة ٱ يي ذٰ رٰ ىٰ ٌ [4] وٱ تم ته ثم جح جم ٌ [5] كما جاءت مثناة في قوله تعالى : ٱ يم ين يى ذٰ رٰ ٌ [6] لأن الخطاب في سورة الرحمن للثقلين ، الإنس والجن ، فكأنه قيل : لكل خائفين منكما جنتان ، جنة للخائف من الإنس ، وجنة للخائف من الجن ، ويجوز أن يقال : جنة لفعل الطاعات ، وجنة للبعد عن المعاصي ، أو جنة يثاب بها ، وأخرى تضاف إليها على وجه التفضل والزيادة ، كما جاء في قوله تعالى : ٱ لم لى لي مج مح ٌ [7] .

ومن الألفاظ التي جاءت مفردة ومثناة وجمعاً ، لفظ (المشرق) ، ولفظ : (المغرب) فحيث أفردا أريد بهما الجهة ، جهة المشرق وجهة المغرب ، وحيث ثنيا أريد بهما مشرق الصيف والشتاء ومغربهما ، وحيث جمعا أريد بهما تعدد المطلع في كل فصل من فصول السنة ، وفي كل جزء من الأرض ، قال تعالى : ٱ تن تى تي ثر ثز ثم ثن ٌ [8] ٱ صح صخ صم ضج ٌ [9] ٱ سه شم شه كل كم لم نم ٌ [10] .

([1]) سورة آل عمران : الآية :133 .

([2]) سورة مُحَّد : الآية : 15 .

([3]) سورة مريم : الآية : 63 .

([4]) سورة القمر : الآية : 54 .

([5]) سورة الذاريات: الآية : 15 .

([6]) سورة الرحمن : الآية : 46 .

([7]) سورة يونس : الآية : 26 . وانظر : الكشاف 342/2 .

([8]) سورة المزمل : الآية : 9 .

([9]) سورة الرحمن : الآية : 17 .

([10]) سورة المعارج : الآية : 40 . وانظر البرهان في علوم القرآن للزركشي 19/4 .

المبحث الثاني : التعريف والتنكير

المطلب الأول : التعريف :

أنواع المعارف ولطائفها البلاغية :

وراء كل من التعريف والتنكير أسرار ومزايا بلاغية تتجلى لمن يمعن النظر في سياقات الكلام ووقف على مواقع أجزائه ؛ لأن المعرفة لها دلالاتها وإيحاءاتها ، كما أن للنكرة دلالات وإيحاءات لا تكون في المعرفة ، ومع أن كلا من المعرفة والنكرة يدل على معين ، وإلا امتنع الفهم ، إلا أن الفرق بينهما أن (النكرة) يفهم منها ذات المعين فقط ، ولا يفهم منها كونه معلوما للسامع ، وأن (المعرفة) يفهم منها ذات المعين ، ويفهم منها كونه معلوماً للسامع لدلالة اللفظ على التعيين ، والتعيين فيها ـ إما بقرينة التكلم ، أو الخطاب ، أو الغائب ، كما في الضمائر ، وإما بنفس اللفظ من غير احتياج إلى قرينة خارجية كما في العلم ، وإما بقرينة إشارة حسية ، كما في الإشارة ، وإما بنسبة معهود كما في الأسماء الموصولة ، وإما بحرف وهو المعرف بأل ، والنداء ، وإما بإضافة معنوية ، وهو المضاف إلى واحد مما ذكر ، ما عدا المنادى . [1]

([1]) انظر : الطراز المتضمن لأسرار البلاغة 12/2 .

وللتعريف بكل نوع من هذه الأنواع مزايا ، ولطائف بلاغية ستتجلى لنا من خلال النظر في الآيات الكريمة ، وتأمل سياقاتها ، والوقوف على قرائن أحوالها .

المسألة الأولى : التعريف بالضمائر :

ولنبدأ بضمير التكلم ؛ لأنه أعرف المعارف بعد لفظ الجلالة ، في قوله تعالى :ﱡﭐ لي ما مم نر نز نم نن ﱠ[1] فيه تأكيد لحفظ الذكر الحكيم ، وبث الطمأنينة في نفوس المؤمنين ، الذين تطلعوا إلى حفظ القرآن الكريم من التغيير والتبديل ، الذي لحق بالكتب الأخرى كالتوراة والإنجيل ، إذ امتدت إليها يد البشر بالتغيير والتحريف ، وهذا ما أقلق المؤمنين ، وأزعج نفوسهم ، وجعلهم يتطلعون إلى حفظ القرآن الكريم ، فكان التعريف بضمير التكلم وإسناد الحفظ إلى(نا) العظمة ؛ ليطمئن المؤمن ، ويقر عيناً بحفظ الله تعالى لكتابه الكريم .

وخذ قوله تعالى :ﱡﭐ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بم بن بى بي تر تز ﱠ[2] تجد أن التعريف بضمير التكلم " إني أنا الله " قد أفاد من التلطف والإيناس ما لا يفيده غيره ، خاصة وأن المقام يحتاج إلى هذا التلطف وذاك الإيناس ؛ كي يتبدد ما حل بموسى ــ عليه السلام ــ من قتل وخوف .[3] ويكثر التعريف بضمير التكلم في مقامات الفخر ، والاعتداد بالنفس ، والأصل في ضمير الخطاب أن يكون لمعين مشاهد ، كما في قوله تعالى:ﱡﭐ ذٰ رٰ ىٰ ئر ئز ئم ئن ﱠ[4] وقد يخاطب غير المشاهد لمعنى لطيف وكان مستحضراً في القلب ، كقول الله تعالى :ﱡﭐ نم نن ني ﱠ[5] فتوجه المؤمن إلى ربه ـ عز وجل ـ بالخطاب يشعر بمدى القرب ، وتعلق فؤاد المؤمن بربه وحضوره في ذهنه ، ومن أجل ذلك كان الخطاب ، كما قد يخاطب غير المعين لداع بلاغي ، وهو إذا قصد تعميم الخطاب لكل من يمكن خطابه على سبيل البدل . لا التناول دفعة واحدة .[6]

([1]) سورة الحجر: الآية : 9 .

([2]) سورة القصص : الآية : 30 .

([3]) التحرير والتنوير 112/20 .

([4]) سورة الأحزاب : الآية : 37 .

([5]) سورة الأنبياء : الآية : 87 .

([6]) انظر : جواهر البلاغة ص 126 .

كقوله تعالى :ﱡ ﱏ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني ﱠ[1] فالخطاب في قوله : (ترى) قد أريد به كل ما يتأتى خطابه ، وهذا يشعر بظهور حال المجرمين لكل راء ، وضمير الغائب لا بد له من مرجع يرجع إليه لفظاً ، كما قوله تعالى: ﱡﭐ جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخضم طح ظم عجﱠ[2] فضمير الغائب (هو) يرجع إلى لفظ الجلالة المتقدم ذكره في الآية الكريمة [3] أو معنى بأن يكون المرجع في حكم الملفوظ به ، كما في قوله تعالى: ﱡﭐ لخ لم لى لي مج مح مخ مم مى مينج نح نخ نم نى نيهج هم هى هييج يح يخ يم يى ﱠ[4] فضمير الغائب (هو) يعود إلى الرجوع المفهوم من قوله : (ارجعوا) وقد لا يوجد له مرجع لا لفظاً ولا معنى ، وإنما يفهم مرجعه من السياق وقرائن الأحوال ، كما في قوله تعالى : ﱡﭐ بم بن بى بي تر تز تم تن تى ثر ثز ثم ثن ثى فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لىﱠ[5] فالضمير المستتر في قوله : (حتى توارت) تقديره : (هي) يرجع إلى الشمس التي لم يسبق لها ذكر ، وإنما دلت عليها قرائن الأحوال وسياق الآيات ، من فوات وقت الصلاة ، وذكر وقت العشي ، والتواري بالحجاب ، وقد يكون الضمير للشأن ، أو القصة ، فيكون إيضاحه في الجملة المذكورة بعده ، كما في قوله تعالى:ﱡﭐقم كج كح كخﱠ[6] وفيه ضرب من رد العجز على الصدر ، إذ افتتحت السورة بـ " قد أفلح المؤمنون " وختمت بـ " إنه لا يفلح الكافرون " وهو نفي الفلاح عن الكافرين ضد المؤمنين [7] وقوله عز وجل :ﱡقح قم كج كحﱠ [8] فالضمير في الآية الأولى

(1) سورة السجدة : الآية : 12 .

(2) سورة الأعراف : الآية : 87 .

(3) الفتوحات الإلهية 164/2 .

(4) سورة النور : الآية : 28 .

(5) سورة ص : الآيتان: 30 ـ 32 .

(6) سورة المؤمنون : الآية : 117 .

(7) انظر : التحرير والتنوير 136/18 . وانظر : مواهب الفتاح شرح تلخيص مفتاح العلوم ص 49.

(8) سورة الحج : الآية : 46 .

ضمير الشأن وقد فسر بما بعده ، والضمير في الآية الثانية ضمير القصة ، وفسر أيضا بما بعده ، ولا يخفى علينا ما في ذلك من الإيضاح بعد الإبهام ، وما له من أثر في النفس [1]

المسألة الثانية : التعريف بالعلمية :

والتعريف بالعلمية يأتي لأغراض بلاغية شتى منها :

إحضاره بعينه في ذهن السامع ابتداء باسم يخصه ، كما في قوله تعالى: ﴿ لخ لم لى لي مح مخ ﴾[2] فقد اقتضى المقام ، مقام الرد على الملحدين ، وإيضاح التوحيد ، أن يصرح بلفظ الجلالة ، منتسبة إليه الوحدانية ، والصمدية ، فلفظ الجلالة أنسب بهذا المقام دون سائر المعارف .

ومنها التعريف بالعلمية للتعظيم كقوله تعالى ﴿ لخ لم لى لي ﴾ [3] فقد ذكر (مُحَمَّد) بالاسم تعظيما له بأنه رسول الله ، وصفوته من خلقه ،أو الإهانة كقوله تعالى :﴿ ثم ثن ثى ثي فى ﴾ [4] فقد ذكر (عبد العزى) بكنيته (أبي لهب) إهانة له وتحقيراً وإشارة إلى أنه من أهل جهنم ، ومن أصحاب السعير ، وقد غلبت عليه هذه الكنية ، فلم يكد يعرف إلا بها ، ومن ذا الذي يعرف أن اسمه عبد العزى إلا من أخبر بذلك ؟ [5]

المسألة الثالثة : التعريف باسم الموصول :

فللتعريف بالأسماء الموصولة مزايا لطيفة ، ومعان دقيقة ، مردها إلى جملة الصلة ، وما يكون في أبنيتها مما لا يوجد في أنواع المعارف الأخرى ، فبتأمل جملة الصلة ، والإحاطة بمعانيها ؛ يتجلى لنا العديد من المزايا واللطائف البلاغية ، ولننظر في قوله تعالى : ﴿ لي ما مم نر نز ﴾[6] نجد أن جملة الصلة وما ذكر بها من الوالدين ، وكلمة (أف) التي قيلت لهما ، نجد في ذلك تنفيراً من

([1]) انظر : المطول في شرح تلخيص المفتاح ص 491 .

([2]) سورة الإخلاص : الآيتان: 1 ، 2 .

([3]) سورة الفتح : الآية : 29 .

([4]) سورة المسد : الآية : 1 .

([5]) انظر : مباحث في علوم القرآن . مناع القطان ص200 .

([6]) سورة الأحقاف : الآية : 17 .

هذا القول ، وإهانة لقائله ، وستراً عليه ، إذ لم يصرح باسمه ، وتلك المعاني لا تتأتى إلا بجملة الصلة ، وما صرح بها . [1]

المسألة الرابعة : التعريف بأسماء الإشارة :

التعريف بأسماء الإشارة يأتي لأغراض شتى ، يرجع تحقيقها إلى دلالات أسماء الإشارة ، وما بها من قرب وبعد ، وتميز ، وتجسيد ، فهذه المعاني الكامنة في دلالة أسماء الإشارة ، تستخدم لتحقيق أغراض بليغة ، ففي قوله تعالى:ﱡ طح ظم عج عم غج غم فج فح فخفم ﱠ[2] نجد أن اسم الإشارة (هذا) قد جسد المشار إليه ، وهو خلق السموات والأرض ، وإلقاء الرواسي في الأرض ، وبث الدواب ، وإنزال الماء من السماء ، وإنبات الأزواج من في الأرض ، فهذه المعاني قد تجسدت باسم الإشارة لبيان حاله في القرب ، وتميزت أكمل تمييز ، وأحضرت في ذهن السامع محسة مشاهدة ، أو لبيان حاله في البعد ، ومثل ذلك قوله تعالى:ﱡ لخ لم لى ليمج مح مخ مم مى مي نجﱠ [3] ففي إيثار التعبير باسم الإشارة الموضوع للبعيد (ذلك) في الآية الكريمة معنى لطيف وهو الإشعار ببعد المنال ، إذ لا ينال العظة من هذا التقليب إلا النفوس المؤمنة القوية ، المهيأة للوعي والإدراك ، ويستخدم القرب والبعد الحسيان اللذان وضعت لهما أسماء الإشارة ؛ لأفادة معاني التعظيم والتحقير ، وذلك بتنزيل القرب ، أو البعد المعنوي منزلة القرب ، أو البعد الحسي الذي وضعت له أسماء الإشارة .

ومن ألطف مواقع اسم الإشارة في آيات الذكر الحكيم ؛ لأن يذكر بعد عدة صفات المشار إليه فيدل على أن المشار إليه قد استحق الجزاء المذكور بعد من أجل تلك الصفات المتقدمة ، كما في قوله تعالى :ﱡﭐثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى ﱠ [4] لقد افتتحت السورة الكريمة بذكر فلاح المؤمنين ، ثم تتابعت أوصافهم ، وجاء بعد هذا التتابع اسم الإشارة (أولئك) فدل على استحقاق المؤمنين إرث الفردوس من أجل تلك الصفات التي وصفوا بها[5]

([1]) الفتوحات الإلهية 130/4 .

([2]) سورة لقمان : الآية : 11 .

([3]) سورة النور : الآية : 44 .

([4]) سورة المؤمنون : الآية : 11 .

([5]) انظر : روح المعاني للألوسي ، 215/9 .

المسألة الخامسة : التعريف بأل :

وراء التعريف (بأل) مزايا بلاغية عديدة تتجلى لمن تأمل بوعي ، وأحاط بسياق الآيات الكريمة التي ورد بها التعريف ، ففي قوله تعالى : ﴿ يىيي ئج ئح ئخ ئم ئه ﴾ (1) نجد أن (أل) في الناس ؛ يصح أن تكون للعهد ، والمعنى كما آمن النبي ـ ﷺ ـ ومن آمن معه ، ويصح أن تكون للجنس ، والمعنى كما آمن جنس الناس ، والجنسية هنا كما يقول الزمخشري: " يتولد منها معنى لطيف ؛ لأنها تشير إلى أنهم الناس الكاملون في الإنسانية ، فالذين آمنوا هم جنس الناس ، ومعدن الإنسانية ، ومن عداهم ليسوا منها في شيء" (2) وخذ قوله تعالى:﴿ قم كج كح كخ كل كم لج لح ﴾(3) ﴿ هى هي يج يح يخ يم يى يي ﴾(4) فقد جاء في البقرة (بلداً) بالتنكير ، وفي سورة إبراهيم (البلد) بالتعريف، وذلك لأن في سورة البقرة دعا إبراهيم ـ عليه السلام ـ به قبل أن يصير بلداً ، عندما ترك هاجر وإسماعيل به ، وهو واد غير ذي زرع ، فدعا بأن يصير بلداً آمناً ، وأما في سورة إبراهيم ، فقد دعا به بعد مصيره بلدا وسكنى قبيلة جرهم به ، ولذا جاء معرفاً | هذا البلد " (5)

المسألة السادسة : تعريف النكرة بإضافتها إلى إحدى المعارف المذكورة سابقاً :

إن إضافة النكرة إلى ما قبلها فإنها تلقي بظلالها على هذا التعريف ، فنجد العديد من المزايا واللطائف البلاغية ، تأمل قول الله تعالى:﴿ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عجعم ﴾ (6) تجد أن الولد قد أضيف إلى أمه ، وإلى أبيه " بولدها .... بولده " استعطافاً لهما وحثاً على الإشفاق عليه ، والكف عن مضرته ، وعن المضارة بينهما ، فإن عاقبتهما ترجع إليه ، يقول الزمخشري : " فإن قلت كيف قيل : بولدها وبولده ؟ قلت : لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف

---

(1) سورة البقرة : الآية : 13 .

(2) الكشاف 64/1 .

(3) سورة البقرة : الآية : 126 .

(4) سورة إبراهيم: الآية : 35 .

(5) انظر : تفسير ابن كثير 141/4 . بتصرف .

(6) سورة البقرة : الآية : 233 .

إليها الولد استعطافاً لها عليه ، وأنه ليس بأجنبي عليها ، فمن حقها أن تشفق عليه ، وكذلك الوالد " [1]

ومما تفيده الإضافة الإغناء عن تفصيل يتعذر ، وهذا كثير في القرآن الكريم ، مثل : قوم نوح وقوم هود ، وقوم صالح ، وأصحاب الأيكة ، وأصحاب الفيل ، وأصحاب الأخدود ، فقد أغنت هذه الإضافة عن تفصيل يتعذر ، إذ يتعذر الإحاطة في مثل هذه الإضافات ، ويستحيل ذكره وتفصيله.

المطلب الثاني : التنكير ومقاماته البلاغية :

للتنكير مقامات منها :

الأول : إرادة الوحدة كقوله تعالى :ﱡﭐ كج كح كخ كل كم لج ﱠ[2] أي رجل واحد مؤمن من آل فرعون يخفي إيمانه عن فرعون وآله ؛ لأسباب هو عليم بها .

الثاني : يسرع للحاق بموسى إشفاقاً وخوفاً عليه أن يصيبه مكروه من فرعون وآله . [3]

الثالث : التكثير : كما في قوله تعالى :ﱡﭐ ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ﱠ[4] فقد دل تنكير الأجر على أنهم يريدون الكثرة ومضاعفة الأجر ، إن تحققت لهم الغلبة على موسى ـ عليه السلام ـ وأجابهم فرعون بأن لهم ما أرادوا وزيادة .

ﱡﭐ ئه بج بح بخ بم ﱠ[5] .

الرابع : الدلالة على التقليل كما في قوله تعالى :ﱡﭐ بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ ﱠ[1] دل تنكير (رضوان) على أن القليل من رضوانه

([1]) انظر : الكشاف 280/1 .

([2]) سورة القصص : الآية : 20 .

([3]) انظر : تفسير المراغي : 161/20 .

([4]) سورة الأعراف : الآية : 113.

([5]) سورة الأعراف : الآية : 114.

تعالى ؛ أكبر من كل نعيم ، فالمعنى:وشيء ما من رضوان الله تعالى أكبر من ذلك كله؛لأن رضاه سبب كل فلاح وفوز(2)

الخامس: الدلالة على التعظيم ، كما في قوله تعالى :ُّٱ تخ تم ته ثم جح جمَّ(3) فقد دل تنكير الحياة على أن الحياة التي يحققها القصاص حياة عظيمة ، وحياة هنيئة ، وصيانة الناس من اعتداء بعضهم على بعض ، إذ من علم أنه إذا قتل نفساً يقتل بها ، يرتدع عن القتل فيحفظ حياة من أراد قتله ، وحياة نفسه ، وقد بينت الآية حكمة القصاص ـ كما ذكرنا ـ بأسلوب لا يسامى ، وعبارة لا تحاكى ، واشتهر بأنها أبلغ آي القرآن التي تعجز في التحدي فرسان البيان ، ومن دقائق البلاغة فيها أن جعل فيها الضد متضمنا لضده ، وهو الحياة في الإماتة التي هي القصاص ، وعرّف القصاص ، ونكر الحياة للإشعار بأن في هذا الجنس من الحكم نوعا من الحياة عظيماً لا يقدر قدره ، ولا يجهل سره . (4)

السادس : ومنها الدلالة على التحقير ؛ كما في قوله تعالى :ُّٱ كا كم لم نم نه يم يهَّ (5) أي : إن نظن إلا ظنا حقيراً لا يعبأ به ، ولذا لم يتبعوه ، ومثله قوله تعالى :ُّٱ كا كل كم كى لم لى لي ما نر نز نم ننَّ(6) أي : من شيء حقير مهين ، وقد بينه بقوله : ُّٱ نر نز نم ننَّ هذه الأمور البلاغية تفهم من القرائن والسياق الذي يصاحبه . (7)

المطلب الثالث : الإيجاز بالقصر :

وهو تضمين العبارات القصيرة معاني كثيرة من غير حذف في بناء الجملة (8) أو هو ما تزيد فيه المعاني على الألفاظ ولا يقدر فيه محذوف ، ويسمى : (إيجاز البلاغة) ؛ لأن الأقدار تتفاوت فيه

---

(1) سورة التوبة : الآية : 72 .

(2) انظر : البرهان في علوم القرآن 109/4 .

(3) سورة البقرة : الآية : 179 .

(4) انظر : تفسير المنار : 130/2 .

(5) سورة الجاثية : الآية : 32 .

(6) سورة عبس : الآيات : 17 ، 18 ، 19 .

(7) انظر : مباحث في علوم القرآن ــ مناع القطان ص199 .

(8) انظر: علم المعاني ـ عبد العزيز عتيق .ــ ص 136

، والقرآن الكريم فيه المنزلة التي لا تسامى ، والغاية التي لا تدرك [1] وكتاب الله تعالى مملوء منه ، من ذلك قوله تعالى : ُ مح مخ مم مى ّ [2] جمع بألفاظه القليلة ولاء العبد لربه وثناءه عليه ، فهو إله يستحق العبادة ؛ لأنه رب العالمين ، والحمد يعد أعم من الشكر ، وأما الشكر : فعلى النعمة الخاصة ، وهو بالقلب واللسان والجوارح ، والحمد باللسان وحده فهو إحدى شعب الشكر ، ومنه قوله ـ ﷺ ـ " الْحَمْدُ رَأْسُ الشُّكْرِ وَمَا شَكَرَ اللهُ عَبْداً لَمْ يَحْمُدْهُ " [3] وإنما جعله رأس الشكر ؛ لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها ، أشيع لها وأدل على مكانها من الاعتقاد .
وليس أوجز وأدق وأجمل من قوله تعالى :ُّ نم نى ني ّ[4] تلك الكلمات التي حوت ـ بقصر حجمها ـ عظيم الدلالة ، وحسن البيان ، ووافر الشكر والولاء لله ـ تعالى ـ وترتبط كما نرى الآيات بعضها ببعض ، إذ نجد السورة كلها تنطوي على إيجاز واختصار عظيمين ، ويرتبط الحمد فيها بنسبة الملك يوم الدين إلى الله ـ سبحانه ـ فمن استوجب الحمد والتعظيم إنما يكون ذلك لأحد وجوه أربعة :
أحدها : كماله في ذاته وصفاته وتنزهه عن النقائص .
والثاني : إحسانه وإنعامه .
الثالث : رجاء وصول ذلك الإحسان في المستقبل .
الرابع : الخوف من قهره وقدرته وكمال سطوته ، فكأنه تعالى يقول : " إن كنتم ممن يعظمون الكمال الذاتي فاحمدوني فإني إله رب العالمين ، وهو المراد بقوله ُّ مح مخ ّ ، وإن كنتم ممن تعظمون الإحسان فأنا رب العالمين ، وإن كنتم تعظمون للطمع في المستقبل فأنا الرحمن الرحيم ، وإن كنتم تعظمون للخوف فأنا مالك يوم الدين " [5] فهذه السورة تحتوي بجزئياتها صوراً كلية تتضمنها تلك الألفاظ القليلة التي لا تتعدى تسعة وعشرين لفظاً لو جعلنا التسمية من السورة ، وتلك الصور الكلية ترتبط بعضها ببعض ، إذ يمثل الحمد شعور المرء من الذي يعلم نعم الله عليه

(1) انظر: جواهر البلاغة ـ ص 223.
(2) سورة الفاتحة : الآية : 1.
(3) انظر :كنز العمال 255/3 . روح المعاني 43/1 .
(4) سورة الفاتحة : الآية : 3 .
(5) انظر : مفاتيح الغيب 235/1 .

، وأنها لا تعد ولا تحصى ، وأنه هو رب العالمين ، من الملائكة والثقلين ، ثم إنه " رحمن رحيم " يستغرق بهاتين الصفتين كل معاني الرحمة وحالاتها ومجالاتها ، وهو " مالك يوم الدين " بما تمثله هذه الصفات من " الكلية الضخمة العميقة التأثير في الحياة البشرية كلها كلية الاعتقاد بالآخرة "[1] ، على هذا النحو احتوت أم الكتاب هذه المعاني العظيمة الجمَّة المتوالدة من خلال تلك الألفاظ القليلة بما لا يتوقف بنا الشرح والتفسير فحسب ، وإنما باستنباط دلالات الألفاظ ، وارتباط السياق اللفظي بالآيات ارتباطاً وثيقاً يجعل في هذه السورة من "كليات العقيدة الإسلامية وكليات التصور الإسلامي وكليات المشاعر والتوجيهات ما يشير إلى طرف من حكمة اختيارها في كل ركعة [2] إذ إنها تحوي أصل العقيدة ، وتمام الصلة بين العبد وربه ، ووجوب حمده إياه ، وعبادته له ، واستعانته به وأنه لا ملاذ له إلا إليه ، ولا رجاء إلا منه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿ ئز ئم ئن ئى ئي بر بز ﴾[3] فهذه الآية جامعة لمكارم الأخلاق فيما يتعلق بمعاملة الإنسان مع الغير ؛ لأن في أخذ العفو التسامح والتساهل مع الناس في الحقوق ، واللين والرفق في الدعاء إلى الدين ، وفي الأمر بالعرف صلة الأرحام ، وحفظ اللسان ،وكفُّ الأذى ، وغض البصر عن جميع المحرمات ، وفي الإعراض الصبر والحلم .[4]

ومنه كذلك :﴿ نم نى ني هج هم هى ﴾ [5] أي : صرح بجميع ما أوحي إليك ، وبلغ كل ما أمرت ببيانه ، وإن شق بعض ذلك على بعض القلوب فانصدعت ، والمشابهة بينهما فيما يؤثره التصريح في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ، ويلوح عليها من علامات الإنكار والاستبشار ، كما يظهر على ظاهر الزجاجة المصدوعة ، فانظر إلى جليل هذه الاستعارة التحقيقية التصريحية في قوله :﴿ نم ﴾ فقد شبه تبليغ الرسالة المحمدية تبليغاً واضحاً لا غموض فيه ، مؤثراً تأثيراً قوياً في المشاعر والقلوب ، بتحطيم وتكسير الزجاج ، بحيث لا يلتئم مرة أخرى ، بجامع شدة التأثير وعدم العودة إلى الحالة السابقة ، واستعير الصدع لتبليغ الرسالة ،

---

(1) انظر : في ظلال القرآن ــ سيد قطب . 21/1 .

(2) المرجع السابق: 21/1 .

(3) سورة الأعراف : الآية : 199 .

(4) انظر: معترك الأقران في إعجاز القرآن ــ للسيوطي ــ 255/1

(5) سورة الحجر : الآية : 94 .

واشتق منه (اصدع) بمعنى " بلغ الرسالة " على سبيل الاستعارة التصريحية . والقرينة المانعة من إرادة المعنى الأصلي الجار والمجرور في قوله : ﴿ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾. وقد أمر الرسول بتبليغ الرسالة ، والقيمة الفنية أنها من الاستعارات الخاصة الغريبة لخفاء الجامع فيها بسبب التباعد بين الطرفين ، وأنها تمتاز بالإيجاز ، وتوحي بشدة التأثير في المشاعر والعقول الإنسانية ، وأن الذي يتغلغل الإيمان في قلبه لا يمكن أن يعود إلى الكفر ، وإلى حالته الأولى ، كما أن الزجاج المحطّم لا يمكن أن يعود إلى صورته السابقة .[1]ومن عظيم الإيجاز في هذه الآية ما انطوت عليه من معاني في ثلاث كلمات اشتملت على شرائط الرسالة وشرائعها ، وأحكامها ، وحلالها ، وحرامها، وقد حكي أن بعض الأعراب لما سمع هذه الآية سجد وقال : سجدت لفصاحة هذا الكلام.[2]

ومنه قوله تعالى :ٱ ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كحكخ كل كم لج لح ٱ[3] من بديع الإيجاز في هذه الآية الكريمة : أنها احتوت على أمر ، ونهي ، وأخبر ، ونادى ، ونعت ، وسمّى ، وأهلك ، وأبقى ، وأسعد ، وأشقى ، وقص من الأنباء ما لو شرح ما اندرج في هذه الآية من روعة اللفظ والبلاغة ، والإيجاز والبيان لجفت الأقلام عن ذلك ، وقد أفردت بلاغة هذه الآية بالتأليف ، وقد أجمع كثير من العلماء على أن طوق البشر قاصر عن الإتيان بمثل هذه الآية ، بعد أن فتشوا جميع كلام العرب والعجم ، فلم يجدوا مثلها في فخامة ألفاظها وحسن نظمها ، وجودة معانيها في تصوير الحال مع الإيجاز من غير إخلال ؛ لأن أفانين البلاغة ، وبدائع الفصاحة التي جمعتها هذه الآية ، ما يذهل القلب ، ويشد العقل ، ومن أهم هذه الفنون البلاغية التي تحتويها ، وتلفت النظر ، وتستهوي الموهوب ؛ ليحذوا حذوها ، وينسج على منوالها ما تصدى له السكاكي في المفتاح في بحث البلاغة والفصاحة لبيان بعض خصائص البلاغة في هذه الآية فقال : " والنظر في هذه الآية من أربع جهات ، من جهة علم البيان ، ومن جهة علم المعاني وهما مرجعا البلاغة . ومن جهة الفصاحة المعنوية ، ومن جهة الفصاحة اللفظية :[4]

([1]) انظر : البلاغة التطبيقية . دراسة تحليلية لعلم البيان د. مُحَّد رمضان الجربي ــ ص 279 .

[2] انظر: الإعجاز والإيجاز لأبي منصور عبد الملك بن مُحَّد الثعالبي ــ ص 16 . 17

([3]) سورة هود : الآية : 44 .

([4]) انظر : مفتاح العلوم تأليف : أبي يعقوب يوسف بن مُحَّد بن علي السكاكي .. ص 528

وإليك بعض ما اشتملت عليه الآية من الجهات المذكورة : بالنظر فيها من جهة علم البيان : وهو النظر فيها من المجاز والاستعارة والكناية وما يتصل بها ، فإنه ـ عز وجل ـ لما أراد أن يبين معنى : أردنا أن نردَّ ما انفجر من الأرض إلى بطنها فارتد ، وأن نقطع طوفان السماء فانقطع ، وأن نغيض الماء النازل من السماء فغاض ، وأن نقضي أمر نوح ـ ﷺ ـ وهو إنجاز ما كنا وعدناه من إغراق قومه فقضى ، وأن نسوي السفينة على الجودي فاستوت ، وأبقينا الظَّلَمَةَ غرقى ؛ بُنِيَ الكلام على تشبيه المراد بالمأمور الذي لا يتأتى منه ـ لكمال هيبته ـ العصيان ، وتشبيه تكوين المراد بالأمر الجزم النافذ في تكوين المقصود تصويراً لاقتداره العظيم ، وأن السموات والأرض ، تابعة لإرادته ، كأنها عقلاء مميزون ، ثم بنى على تشبيهه هذا نَظْمَ الكلام فقال جل وعلا : " قيل " على سبيل المجاز عن الإرادة الواقع بسببها قول القائل ، وجعل قرينة المجاز الخطاب للجماد ، فقال : " يا أرض " " ويا سماء " ثم استعار لغور الماء في الأرض البلع الذي هو إعمال الجاذبة في المطعوم للشبه بينهما وهو الذهاب إلى مقر خفي ، ثم استعار الماء للغذاء استعارة بالكناية تشبيها له بالغذاء ؛ لتقوي الأرض بالماء في الإنبات للزروع ، والأشجار تقوِّي الآكل بالطعام وجعل قرينة الاستعارة لفظة " أبلعي " لكونها موضوعة للاستعمال في الغذاء دون الماء ، ثم أمر على سبيل الاستعارة للشبه المتقدم ذكره ، وخاطب في الأمر ترشيحاً لاستعارة النداء ثم قال " ماءك " بإضافة الماء إلى الأرض على سبيل المجاز تشبيها لاتّصال الماء بالأرض باتصال المِلْك بالمالك ، واختار ضمير الخطاب لأجل الترشيح ، ثم اختار لاحتباس المطر " الإقلاع" الذي هو ترك الفاعل الفعل للشبه بينهما في عدم ما كان ، ثم أمر على سبيل الاستعارة وخاطب بالأمر قائلاً : " أقلعي " لمثل ما تقدم في " إبلعي " ثم قال :ﱡ غم فج فح فخ فم قح قم كج كحكخ كل كم لج لحَّ فلم يصرح بمن غاض الماء ، ولا بمن قضى الأمر ، وسوى السفينة ، وقال : " بعداً "، كما لم يصرح بقائل: " يا أرض " و " يا سماء " في صدر الآية ، سلوكاً في كل واحد من ذلك لسبيل الكناية أن تلك الأمور العظام لا تتأتى إلا من ذي قدرة لا يُكتَنه قهار لا يغالب ، فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون غيره جلت عظمته قائلا : " يا أرض " و " يا سماء " ولا غاضا ما

غاض ، ولا قاضيا مثل ذلك الأمر الهائل ، أو أن تكون تسوية السفينة وإقرارها بتسوية غيره وإقراره ، ثم ختم الكلام بالتعريض تنبيها لسالكي مسلكهم في تكذيب الرسل ظلماً لأنفسهم لا غير، خَتْمَ إظهار لمكان السخط وجهة استحقاقهم إياه ، وأن قيامة الطوفان وتلك الصورة الهائلة إنما كانت لظلمهم.

وأما النظر فيها من حيث علم المعاني ؛ وهو النظر في إفادة كل كلمة فيها ، وجهة كل تقديم وتأخير فيما بين جملها ، لذلك أنه اختير (يا) دون سائر أخواتها لكونها أكثر في الاستعمال ، وأنها دالة على بعد المنادى الذي يستدعيه مقام إظهار العظمة ... وهو تبعيد المنادى بالتهاون به ...واختير (أبلعي) على ابتلعي لكونه أخصر ، ولمجيء حظ التجانس بينه وبين (أقلعي) أوفر . وقيل (ماءك) بالإفراد دون الجمع ؛ لما كان في الجمع من صورة الاستكثار المتأتي عنها مقام إظهار الكبرياء والجبروت .... وإنما لم يقل (أبلعي) بدون المفعول أن لا يستلزم تركه ما ليس بمراد من تعميم الابتلاع للجبال والتلال والبحار وساكنات الماء بأسرهن ، نظراً إلى مقام ورود أمر الذي هو مقام عظمة وكبرياء ، ثم إذا بين المراد اختصر الكلام مع (أقلعي) احترازاً عن الحشو المستغنى عنه وهو الوجه الذي في إن لم يقل : قيل يا أرض إبلعي ماءك فبلعت ، ويا سماء أقلعي فأقلعت ، ... وكذا الأمر دون أن يقال : أمرُ نوح ـ عليه السلام ـ وهو إنجاز ما كان الله وعد نوحاً ـ عليه السلام من إهلاك قومه لقصد الاختصار والاستغناء بحرف التعريف عن ذلك ، ثم قيل " بعداً " للقوم الظالمين ، دون أن يقال : ليبعدَ القوم ، طلباً للتأكيد مع الاختصار وهو نزول (بعداً) منزلة ليبعدوا بعداً ، مع فائدة أخرى ؛ وهي : استعمال اللام مع " بعداً " الدال على معنى أن البعد يحق لهم ، ثم أطلق الظلم ليتناول كل نوع حتى يدخل فيه ظلمهم أنفسهم ، لزيادة التنبيه على فظاعة سوء اختيارهم في تكذيب الرسل .

وأما من حيث النظر إلى ترتيب الجمل : فذلك أنه قد قدم النداء على الأمر ، فقيل :ﭐﱡ ظم عج عم غج غم فج ﱠ دون أن يقال : أبلعي يا أرض وأقلعي يا سماء ، جرياً على مقتضى اللازم فيمن كان مأموراً حقيقة من تقديم التنبيه ليتمكن الأمر الوارد عقيبه في نفس المنادى قصداً بذلك لمعنى الترشيح ، ثم قدم أمر الأرض على أمر السماء ، وابتدئ به لابتداء الطوفان منها ، ونزولها لذلك في القصة منزلة الأصل ، والأصل بالتقديم أولى ، ثم أتبعها قوله : " وغيض الماء "

لاتصاله بغيضة الماء وأخذه بحجزتها ، ألا ترى أصل الكلام : قيل يا أرض أبلعي ماءك فبلعت ماءها ، ويا سماء أقلعي عن إرسال الماء فأقلعت عن إرساله، وغيض الماء النازل من السماء فغاض ، ثم أتبعه ما هو المقصود من القصة وهو قوله تعالى : "وقضي الأمر " أي أنجز الموعود من إهلاك الكفرة وإنجاء نوح ومن معه في السفينة ... ثم أتبعه حديث السفينة وهو قوله : " واستوت على الجودي ثم ختمت القصة بما ختمت .

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة المعنوية فهي : كما ترى نظم للمعاني لطيف ، وتأدية لها ملخصة مبينة ، لا تعقيد يعثِّر الفكر في طلب المراد ، ولا إلتواء يشيك الطريق إلى المرتاد ، بل إذا جربت نفسك عند استماعها وجدت ألفاظها تسابق معانيها ، ومعانيها تسابق ألفاظها .

وأما النظر فيها من جانب الفصاحة اللفظية ؛ فألفاظها على ما ترى عربية مستعملة ، جارية على قوانين اللغة ، سليمة من التنافر ، بعيدة عن البشاعة ، عذبة على العذبات ، سلسة على الأسلات ،كل منها كالماء في السلاسة، وكالعسل في الحلاوة ، وكالنسيم في الرقة .. [1]

([1]) انظر : مفتاح العلوم للسكاكي ص 528 وما بعدها . التحرير والتنوير 10 / 78 وما بعدها .

الخاتمة

تقع اللفظة في غاية الأهمية في دراسة بلاغة القرآن ، من حيث إنها الوحدة المكونة للآيات ، وإنها عنصر فعال في توصيل المعنى إلى المتلقي بصورة بيانية ، ومن حيث إن كلام الله محكم متماسك لا غنى عن مفردة ، بل عن حرف .

أشير في هذه الخاتمة إلى ما تبين لي من خلال هذا البحث من سعة الإمكانات الدلالية لصيغة اللفظة القرآنية ، وأن تلك الدلالات هي في ما أؤمن به دلالات غير متناهية ، ولا محصورة ، ومن أهم الاستنتاجات :

1 . لقد اتسمت اللفظة القرآنية بجمال الشكل والمضمون ، فجمعت بين قوة تأثير التصوير ، وعذولة الصوت بسهولة نطق مخارجها .

2 . إن القرآن الكريم فيما ذكر من ألفاظ كلماته ، لم يلتزم فيما ذكر أسلوباً واحداً في إيجازه وإعجازه حتى تمله النفوس ، وتسأمه الطباع والعقول ، بل تنوعت أساليبه حسب ما يقتضيه المقام ، ويكون أدعى إلى الامتثال في غير ما سآمة ولا ملل .

3 . في القرآن الكريم صور بديعة ، وألفاظ رائعة تدل على إعجاز آياته ببيانه الساحر الذي يأخذ بالألباب ، في جميل تشبيهه وتمثيله ، وسلوكه أساليب العرب في تخاطبهم ومحادثاتهم ، واستعمالهم للاستعارة ، والكناية ، والتشبيه ، والمجاز، وغير ذلك من الوجوه البيانية التي اختصت بها اللغة العربية .

4 . إعجاز القرآن الكريم من حيث إيجازه يجيء من فصاحة ألفاظه ، وبلاغة عباراته ، فليس فيه لفظ يثقل على السمع ، أو لا يتسق مع ما قبله ، أو ما بعده ، ولا كلمة غيرها خير منها ، ولا حرف خال من الدلالة على معنى ، فتعبيراته في الذروة العليا من البلاغة ، وأساليبه المتعددة مطابقة لمقتضى الحال .

5 . من الحكمة الإلهية السامية ، أن يترك القرآن في حالة إيجاز ، جامعاً لأمهات القوانين وكليات الأحكام ، منبهاً على ما فيها من حكم ومصالح ، ومرشداً إلى ما تنبني عليه الشريعة من ضرورات وحاجيات ، ومكملا لكل منها .

نسأل الله التوفيق لكل دارس لكتاب الله الكريم ، فإنه آية معجزة من قبل رب العالمين .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم بالرسم العثماني كما يوافق مصحف المدينة المنورة من حيث الرسم وعلامات الوقف.

1 . الاتقان في علوم القرآن ـ الإمام جلال الدين السيوطي ـ بهامشه : إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني ـ دار مكتبة الهلال بيروت لبنان ـ الطبعة : بلا ـ التاريخ بلا .

2 . البرهان في علوم القرآن ـ بدر الدين مُحَمَّد بن عبد الله الزركشي ـ قدم له وعلق عليه مصطفى عبد القادر عطا ـ دار القم بيروت لبنان ـ الطبعة : بلا ـ التاريخ : بلا .

3 ـ البلاغة التطبيقية . دراسة تحليلية لعلم البيان ـ د. مُحَمَّد رمضان الجربي منشورات إلجا ـ فاليتا مالطا .ـ 2001م

4 . إعجاز القرآن ـ أبو بكر مُحَمَّد الطيب الباقلاني ـ تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف ـ القاهرة ـ 1963 م

5 ـ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ـ مصطفى صادق الرافعي ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت لبنان ـ الطبعة التاسعة ـ 1393 هـ ـ 1973 م .

6 . الإعجاز البلاغي لتحولات النظم القرآني ـ د . أحمد مُحَمَّد أمين إسماعيل ـ دار الكتب العلمية بيروت ـ الطبعة الأولى ـ التاريخ 2011 م .

7 ـ الإعجاز والإيجاز لأبي منصور عبد الملك بن مُحَمَّد الثعالبي تحقيق : مُحَمَّد إبراهيم سليم ـ الطبعة بلا ـ مكتبة القرآن القاهرة .

8ـ الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ـ أ . نايف منير فارس ـ دار ابن حزم ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1431 هـ ـ 2011 م .

9 ـ الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأول ـ محمود بن عمر الزمخشري ـ دار الكتاب العربي ـ الطبعة / بلا ـ التاريخ : بلا .
10 ـ الطراز المتضمن لأسرار اللاغة وعلوم حقائق الإعجاز ـ يحيى بن حمزة العلوي اليماني . تحقيق الشربيني شريدة ـ دار الحديث ـ القاهرة ـ الطبعة : بلا ـ 2010 م .
11 . الفتوحات الإلهية ـ سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل ـ دار الفكر بيروت ـ الطبعة : بلا ـ التاريخ : بلا .
12 . الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي ـ د . جابر أحمد عصفور ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ الطبعة : بلا ـ 1974 م .
13 . التحرير والتنوير ـ مُحَمَّد الطاهر بن عاشور ـ الدار التونسية للنشر ـ تونس ـ الطبعة : بلا ـ 1984 م .
14 . التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ـ د . عبد العظيم إبراهيم المطعني ـ مكتبة وهبة ـ القاهرة ـ الطبعة الثانية ـ 1428هـ ـ2007 م .
15 . التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب ـ للإمام فخر الدين مُحَمَّد بن عمر بن الحسين البكري الرازي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1421هـ ـ 2000 م .
16 . المطول (شرح تلخيص مفتاح العلوم) ـ سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني ـ تحقيق د . عبد الحميد هنداوي ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـ الطبعة الأولى ـ 1422هـ ـ 2001 م
17 ـ إعراب القرآن الكريم وبيانه ـ محيي الدين الدرويش ـ اليمامة للطباعة والنشر ـ دمشق ـ بيروت ـ دار ابن كثير ـ دمشق ـ بيروت ـ الطبعة : التاسعة ـ 1424 هـ ـ 2003 م .
18 ـ جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع ـ تأليف أحمد الهاشمي ـ دار إحياء التراث ـ بيروت ـ لبنان ـ الطبعة الثانية عشرة ـ التاريخ : بلا .
19 ـ حاشية الدسوقي ـ مُحَمَّد بن أحمد بن عرفة الدسوقي ـ تحقيق د. خليل إبراهيم خليل . الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ 1423 هـ ـ 2002 م .
20 ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ـ علاء الدين علي المتقي ـ تحقيق مُحَمَّد عمر الدمياطي ـ منشورات مُحَمَّد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ 1419 هـ ـ 1998 م .

21 ـ مباحث في علوم القرآن ـ مناع القطان ـ الطبعة الثامنة ـ مؤسسة الرسالة ـ بيروت 1981م
22 ـ مجمع الأمثال ـ أحمد بن مُحَمَّد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني ـ قدم له نعيم حسن زرزور ـ الطبعة : بلا ـ منشورات مُحَمَّد علي بيضون ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ التاريخ : بلا .
23 . مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح ـ ابن يعقوب المغربي ـ أبي العباس أحمد بن مُحَمَّد ـ دار الكتب العلمية بيروت لبنان ـالطبعة : الأولى ـ 1424 هـ 2003 م .
24 ـ معترك الأقران في إعجاز القرآن . جلال الدين أبو الفضل عبد الرحمن السيوطي . تحقيق علي مُحَمَّد البيجاوي . دار الفكر العربي . القاهرة . 1969 م . د عبد العزيز الجندي . الطبعة بلا . دار الكتب العلمية . بيروت . التاريخ بلا .
25ـ مختار القاموس ـ الطاهر أحمد الزاوي ـ الدار العربية للكتاب ـ 1980 م
26 ـ نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز . تاليف فخر الدين الرازي تحقيق د.نصر الله حاجي . الطبعة الأولى . دار صادر . بيروت . 1424 هـ . 2004 م
27 . في ظلال القرآن ـ سيد قطب ـ الطبعة الخامسة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت لبنان ـ 1386 هـ ـ 1967 م .
28 ـ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ـ شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ـ ضبطه وصححه علي عبد الباري عطية ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ 1422هـ ـ 2001 م .
29 ـ تلخيص المفتاح في المعاني والبيان والبديع ـ مُحَمَّد بن عبد الرحمن القزويني ـ قدم له د. ياسين الأيوبي ـ الطبعة الأولى ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت . 1423 هـ . 2002 م
30 ـ تفسير ابن كثير ـ إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي ـ دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ـ بيروت لبنان ـ الطبعة : بلا ـ 1385 هـ ـ 1966 م .
31 ـ . تفسير القرطبي ـ مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ـ تحقيق أحمد بن عبد العليم البردوني ـ الطبعة الثانية ـ مكتبة الشعب بالقاهرة ـ 1372 هـ .
32 ـ تفسير المراغي ـ تأليف أحمد مصطفى المراغي ـ خرج آياته واحاديثه : باسل عيون السود ـ الطبعة الأولى ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت لبنان ـ 1418هـ ـ 1998 م .

33 ـ تفسير المنار ـ تفسير القرآن الحكيم ـ مُحَمَّد رشيد رضا ـ مطبعة مُحَمَّد علي صبيح ـ القاهرة ـ 1372 هـ ـ 1953 م .